

ملتقى الحركات الإصلاحية في المغرب العربي وعلاقتها بالفكر التحرر

جامعة عباس لغرور-خنشلة يوم 08 ماي 2023

عنوان المداخلة: أثر الحركة الإصلاحية المشرقية على الحركة الإصلاحية الجزائرية ابان الاحتلال الفرنسي.

E mail : bougheranesrine@gmail.com

ط.د نسرين بوغرة

Email : aissa_5@yahoo.com

أ.د عيسى بوغافية

ملخص: هدفت هذه الورقة البحثية إلى معرفة أثر الحركة الإصلاحية المشرقية على الحركة الإصلاحية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، حيث تناولت وقع هذه الحركات المتمثلة في حركة المصلح محمد عبد الوهاب وحركة الجامعة الإسلامية التي ترأسها جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده وكذلك جماعة الإخوان المسلمين حيث اجتمعت هذه الحركات على هدف واحد للنهوض ببلدانها وهو الرجوع إلى أصول الإسلام الصحيح ومحاربة الاستعمار الغاشم والتحرر منه، فداع صيتها في الأقطار العربية التي كانت تشاركها نفس النكبة وانتشر فكرها الإصلاحي المستتير ولاسيما في الجزائر التي كانت تعاني ويلات الاستعمار الفرنسي، فانفتحت الجزائر عليه عن طريق الهجرة الجزائرية نحوه والمراسلات والبعثات التعليمية وتبادل الزيارات مما خلف وقعا إيجابيا على الجزائريين وساهم في بروز نهضة جزائرية إصلاحية مست مختلف الميادين خاصة مع مطلع القرن العشرين كانت الأرضية التي مهدت للجزائريين نحو قيام الثورة التحريرية.

الكلمات المفتاحية: الحركات الإصلاحية، الحركة الإصلاحية المشرقية، الحركة الإصلاحية الجزائرية، الاستعمار الأجنبي.

Abstract : this research paper aims to know the impact of reform movement in the Arab East on the Algerians at the time of colonialism, where this study touched the Islamic movements that emerged in the East at that time, such as the movement of Muhammad abd el whhab, and Islamic University Movement which was headed by JAMAL Din-al-Afghani and Mohammed Abdu and movement of the Muslim Brotherhood where this movements met on one goal to advance our countries it is a return to the origins of Islam and the fight against colonialism and liberation from it, the ideas of these movements spread in the Arab counties that where suffering from colonialism Especially in Algeria, which opened up to the reformist thought immigration, educational missions, correspondence, newspapers and magazines, exchange visits which left a positive impact on the

Algerians and contributed to the emergence of an Algerian renaissance, with the beginning of the twentieth century, it led to the explosion of the revolution

Key words: reform movement, the Oriental reform movement, Algeria reform movement, European colonialism.

مقدمة:

يعد مطلع القرن التاسع عشر مرحلة مهمة في تاريخ العرب الحديث والمعاصر حيث شهد المشرق العربي هجمة استعمارية شرسة من طرف الدول الأوروبية التي حاولت السطو على ممتلكات الدولة العثمانية والقضاء على الثقافة العربية الإسلامية فيها، وأمام هذه الهجمة برزت عدة حركات إسلامية مقاومة للاستعمار الأجنبي داعية لإصلاح بمختلف مجالاته من خلال الرجوع إلى أصول الإسلام الصحيح ونبذ البدع والخرافات التي حلت بمختلف البلدان المشرقية أثناء ضعف الدولة العثمانية كمحاولة للنهضة بهذه البلدان نحو التقدم ومحاربة المحاولات الإستعمارية عليها، ولعل من بين هذه الحركات الإسلامية التي برزت آنذاك الحركة الوهابية نسبة لمؤسسها الشيخ محمد عبد الوهاب وحركة الجامعة الإسلامية التي ترأسها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده، وجماعة الإخوان المسلمين التي قادها حسن البنا، هذه الحركات التي اختلفت في أماكن ظهورها لكنها التقت في هدف واحد هو العودة لأصول الإسلام ومحاربة الاستعمار والتحرر من قبضته، وبالرغم من محاولة الاستعمار الأجنبي عزل الدول العربية عن بعضها إلا أن رابطة الإسلام والعروبة والنكبة الإستعمارية جمعت هذه الدول لتتقاسم همومها وخاصة أوامر الأخوة التي جمعت الجزائر وهي تحت قبضة الاستعمار الفرنسي مع دول المشرق العربي من خلال الهجرة والمراسلات التي كانت تدور بين علماء الإصلاح في المشرق والجزائريين والبعثات التعليمية للطلبة الجزائريين نحو المشرق، وتبادل الزيارات بينها، أين أصبح أثر النهضة المشرقية واضحا جليا على الجزائريين أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من خلال انتشار الفكر الوهابي ووقع الجامعة الإسلامية في نفوس الجزائريين خاصة منهم الطبقة المثقفة ثقافة عربية إسلامية مما ساهم في اطلاع الجزائريين على واقعهم المزري الذي نتج عن السياسة الوحشية الفرنسية، فكانت نتيجة هذه العلاقات والروابط الفكرية بين زعماء الإصلاح في المشرق والجزائريين ظهور نهضة إصلاحية جزائرية مستعدة ميادين وخاصة بعد عودة الطلبة الجزائريين متشبعين بالفكر المشرقي المستنير.

أولا: الإشكالية

شهدت دول المغرب العربي مع مطلع القرن التاسع عشر هجمات شرسة من الاستعمار الأجنبي الذي حاول اجتثاثها من جذورها طمعا في الريادة العالمية محاولا السيطرة على هذه البلدان وجعلها جزء لا يتجزأ

منه ما أدى إلى قيام حركات مقاومة لهذه المحاولات الاستعمارية الأوروبية والجزائر واحدة من بين الدول التي وقعت تحت قبضة الاستعمار الفرنسي الذي حاول بكل ما أوتي من قوة القضاء على الهوية الجزائرية العربية المسلمة غير أنه ومع نهاية القرن التاسع عشر ظهرت حركة إصلاحية وردة فعل جزائرية سلمية مقاومة لجرائم الاستعمار الفرنسي على الشخصية الجزائرية وكان لهذه الحركة التحررية من قبضة المحتل الفرنسي عوامل ساعدت على نبوغها وبروزها لأرض الواقع من بين هذه العوامل الحركات التحررية المشرقية التي كان لها الأثر الكبير في بروز الوعي التحرري لدى الجزائريين من خلال لحمة التواصل الفكري التي مثلتها الزيارات، والمراسلات، والكتابات الصحفية والرحلات والبعثات التعليمية وغيرها.. بين الجزائر وهذه الدول كمصر والشام والحجاز وغيرها.. ، رغم محاولات الاستعمار الفرنسي عزل الجزائر عن شقيقتها العربية والتي جمعتها معهم نفس النكبة، حيث ساعدت هذه العوامل على نبوغ الفكر التحرري في أذهان الجزائريين ولاسيما منهم الطبقة المثقفة ثقافة عربية اسلامية التي حملت لواء إصلاح الأوضاع المزرية التي خلفها المستعمر الفرنسي من أمثال عبد القادر المجاوي والمولود بن الموهوب، وابن سماية، وابن باديس والإبراهيمي وغيرهم من المصلحين الذين تأثروا بفكر جمال الدين الأفغاني، ومحمد بن عبد الوهاب، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا من خلال أفكارهم التحررية و كتاباتهم الصحفية خاصة مجلة العروة الوثقى لمحمد عبده، ومجلة المنار لمحمد رشيد رضا التي أصبحت لها قراء أوفياء في الجزائر نظرا لتأثرهم بأفكارها، حيث كان الفكر المستنير لهؤلاء المصلحين المشاركة المصدر الذي غدّى الحركة الإصلاحية الجزائرية في مقاومتها للاستعمار الفرنسي ولذلك جاءت هذه الورقة البحثية لتكشف عن علاقة الحركة الإصلاحية المشرقية مع الحركة الإصلاحية في الجزائر وكيف أثرت عليها؟

وتتدرج تحت هذه الإشكالية تساؤلات فرعية:

- ما هي الحركات الإصلاحية التي ظهرت في المشرق العربي؟

- ما هي الوسائل التي ساعدت على انتشار الفكر الإصلاحي المشرقي في الجزائر؟

ثانيا: ضبط المفاهيم:

1- ضبط مفهوم الحركة:

أ- لغة: حَرَكَ الحركة ضد السكون وحَرَكَتُهُ فَتَحَرَكَ وَيُقَالُ مَا بِهِ حَرَكَ، أَي حَرَكَهُ وَالْمِحْرَاكُ: المِحْرَاكُ الَّذِي تُحَرِّكُ بِهِ النَّارَ، وَعِلَامٌ حَرَكَ خَفِيفٌ ذَكِي، وَالْحَارِكُ مِنَ الْفَرَسِ: فُرُوعُ الْكَنْفَيْنِ وَهُوَ أَيْضًا الْكَاهِلُ، وَحَرَكَتُهُ وَأَحْرَكَهُ حَرَكَاً أَصْبَحَتْ حَارِكُهُ.¹

ب-اصطلاحا: تعددت وتنوعت مفاهيم الحركة اصطلاحا ومن بينها يعرفها الجرجاني على أنها الخروج من القوة على الفعل على سبيل التدرج قيد ب التدرج ليخرج الكون عن الحركة، وقيل: هي شغل حيز بعد أن كان في حيز خر وقيل الحركة كونان في كونين في مكانين كما أن السكون كونان في آنين في مكان واحد² وعرفها الشيخ البشير الإبراهيمي على أن لفظ حركة في العرف العصري لا يطلق إلا على مبدأ تعتقه جماعة وتنساق لنصرتة ونشره والدعاية ولعمل له عن عقيدة، وتهيئ له نظاما محددًا وخطة مرسومة وغاية مقصودة³

2- مفهوم الإصلاح:

أ-لغة: أ-لغة: الإصلاح: جاء في معجم مقاييس اللغة فالإصلاح في اللغة: مشتق من الفعل صَلَحَ: والصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد ويقال صَلَحَ الشيء يَصْلُحُ صَلَاحًا، ويقال صَلَحَ بفتح اللام⁴ وَصَلَحَ الشيء صَلُوحًا من باب قعد وَصَلَحًا أيضًا، وَصَلَحَ بالضم لغة: وهو خلاف فَسَدَ وَصَلَحَ يصلح بالفتحة فهو صَلَاحٌ وَأَصْلَحْتُهُ فَصَلَحَ أتى بِالصَّلَاحِ وهو الخير والصواب.⁵

ب-اصطلاحا: تعددت وتنوعت مفاهيم الإصلاح اصطلاحا وله استعمالات كثيرة ومعاني متعددة فمرة يراد به التحديث والتطوير، ومرة يراد به النهضة والتمدن وأخرى التغيير والتجديد وغير ذلك من الاستعمالات المعاصرة التي تتخللها الرغبة في إزالة ما يعوقُ ويفسد ويشد المجتمع الى الوراء.⁶

ويعرفه الشيخ الامام عبد الحميد ابن باديس: على أنه توفير كل الشروط الدينية والاجتماعية والسياسية التي تحقق للإنسان نهضة شاملة في حياته، وقال مؤكدا مفهومه للإصلاح المحقق للنهضة أن نهضة الامة تكون اجتماعية وتكون سياسية وتكون دينية.⁷

3- مفهوم الحركة الإصلاحية: وتعرف على أنها حركة تدعو إلى العودة إلى الإسلام الصحيح، وتحرير العقول من التقليد والجمود إلى وحدة المسلمين، ومواجهة الاستبداد المحلي والاستعمار.⁸

4-الحركة الإصلاحية المشرقية: وتعرف على أنها تلك الحركات الإسلامية والتي ظهرت في المشرق العربي قام بها رجال مصلحون وتركز الدعوة فيها على المطالبة بالعودة إلى الإسلام في عقيدته الصافية وشريعته السمحة واستتفار الهمة لإعادة مجد الإسلام من جديد ونبد مظاهر الشرك والعبودية وفي طليعة هذه الحركات حركة الشيخ محمد عبد الوهاب، وحركات جمال الدين الأفغاني، وحركة الشيخ البنا أي الإخوان المسلمين.⁹

5- الحركة الإصلاحية الجزائرية: وهي ردة فعل سلمية جزائرية على الممارسات السياسية الإستعمارية الفرنسية الوحشية على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، وكان وراء ظهور هذه الحركة مصلحين جزائريين حملوا على عاتقهم هم الجمود الفكري والأوضاع المزرية التي كان يعيشها الجزائريين، ومن أمثال هؤلاء المصلحون الأوائل الشيخ صالح بن مهنا في قسنطينة، والشيخ عبد القادر المجاوي، والمولود بن الموهوب وعبد الحليم بن سماية، وعمر بن قدور الجزائري، وعمر راسم وغيرهم الذين لا يمكن عددهم في هذا المقام كما تبلورت ونضجت هذه الحركة مع مطلع القرن العشرين على يد ابن باديس وتلاميذه وأنصاره متمثلة في جمعية العلماء المسلمين.¹⁰

ثالثا: الحركات الإصلاحية التي ظهرت في المشرق العربي: وقعت الكثير من الدول المشرقية تحت قبضة الاستعمار الأجنبي، ونتيجة لذلك برزت حركات تنادي بالتححرر من قبضته ومن بين هذه الحركات نجد:

1- الحركة الوهابية: وهي نسبة إلى محمد عبد الوهاب¹¹، وتعتبر الدعوة الوهابية أول حركة إصلاحية سلفية في العصر الحديث وأولى الحركات التجديدية التي ظهرت في الدولة العثمانية، وظهرت هذه الحركة نتيجة للأوضاع المزرية التي وصلت إليها الأمة الإسلامية من تأخر وفساد، وانتشار البدع والخرافات في المجتمع الإسلامي، وظهرت هذه الحركة في إقليم نجد بالحجاز، فخلال مسار صاحب الحركة ورحلاته العلمية وجد أن الناس بعدو عن أصول الإسلام وتعاليمه الصحيحة فراح يثور على هذه الأوضاع من خلال دعوته التي لقيت هذه الدعوة انتشار كبيرا في البلاد العربية لعدة أسباب من بينها:

- نادت بالزهد والتقشف والبساطة وهي أمور تتناسب مع حياة البدو والبيئة الصحراوية التي لا تشغلهم فيها مظاهر الترف ومباهج الرفاهية.

أنها لم تواجه المعارضة من قبل العلماء والفقهاء المنتشرين في شبه الجزيرة العربية.

- استجابة الناس لدعوته بسبب تقطنهم لعوامل التأخر والضعف والانحلال فربطوا عوامل التأخر الديني وعوامل الضعف السياسي ورأوا أن الرجوع للإسلام هو هو العامل في القضاء على الضعف السياسي ويعيد للعالم الإسلامي ما كان له من عزة وقوة.

- وضع محمد عبد الوهاب لدعوته برنامجا سياسيا إلى جانب البرنامج الديني من خلا نشر دعوته باللسان عند من يقبلها وبالسيف عند من لم يقبلها من خلال اتحاده مع أمير الدرعية محمد بن سعود

التوحيد من خلال الدعوة إلى الله وحده لا شريك له، واعتماد القرآن والسنة كمصدرين أساسيين لدعوته.

الاجتهاد بشرط عدم مخالفته لنصوص القرآن والسنة وآثار السلف¹² فكانت دعوة ابن عبد الوهاب حرباً على كل ما ابتدع بعد الإسلام الأول من عادات وتقاليد ووجوب العودة إلى الإسلام في بساطته الأولى وطهارته ونقائه ووحديته واتصال العبد بربه من غير واسطة ولا شريك له¹³

2- الجامعة الإسلامية: وظهرت هذه الحركة لجمع الروابط الحضارية والدينية والسياسية بين المسلمين بعد التخلف الذي أصاب العالم الإسلامي والتفرق الذي خلفه الاستعمار الغربي بداية من حملة نابليون على مصر وسوريا، وهي حركة ظهرت لتوحيد الجهود لتحرير المغرب العربي من الاستعمار الفرنسي وظهرت بداية في الهند ومصر وفارس واسطنبول وكابل وقد ترأسها جمال الدين الأفغاني¹⁴ في بداية ظهورها ثم في واخر الثمانينات تولاها الباب العالي، وكانت هذه الحركة متصلة الأطراف شارك فيها رجال من مختلف بلدان المغرب العربي سواء من الأصول المهاجرة كانوا يعملون في ايطار الجامعة الإسلامية لتحرير المغرب العربي ومحاربة الاستعمار فيها¹⁵، وبرزت هذه الحركة في شكل ثلاث اتجاهات اتجه نادى بالإصلاح على أساس اقتباس النظم والأساليب الغربية في الحكم والإدارة والثقافة والاجتماع دون قيد أو شرط، والاتجاه الثاني نادى بالعودة إلى الجذور الإسلامية وتطبيق المبادئ والأفكار الإسلامية، والاتجاه الثالث دعا إلى الإصلاح الشامل للأوضاع المسلمين دينياً واجتماعياً وسياسياً وناشراً آراءه في كافة العالم الإسلامي وهو ما نادى به جمال الدين الأفغاني¹⁶ الذي أصدر بعد نفيه هو وتلميذه محمد عبده¹⁷ بعد ثورة أحمد عرابي وتحالف الخديوي توفيق والإنجليز ضدها، وخضوع مصر للحماية بعدها سنة 1882م، حيث أصدر مجلة العروة الوثقى داعياً للوحدة والجامعة الإسلامية تحت قيادة الخلافة العثمانية، وتحرير العالم الإسلامي من الاستعمار الغربي كما جاء في افتتاحية أول عدد منها الصادر سنة 1884 بقلم محمد عبده أن أستاذه من كلفه أن ينشئ جريدة تدعو المسلمين إلى الوحدة تحت لواء الخلافة الإسلامية، وقد استطاعت المجلة استثارة الشعور الإسلامي ضد وجود بريطانيا في مصر والسودان والهند¹⁸ فقد زامل جمال الدين الأفغاني هذه الحركة محمد عبده ومن أهم ما ميز هذه الحركة

-الإصلاح الديني: من منطلق العقلانية الإسلامية، ايماناً بأن الشرق لن ينتصر في صراعه مع الغرب إلا إذا تسلح العقل وتجديد الصلات الحضارية مع الغرب، واقتباس المناسب منه.

-المحافظة على بقاء السلطنة العثمانية وتنمية جوانبها الإيجابية والعمل على تجديد شبابها، لا منطلقاً لإيمانها كخلافة إسلامية وإمارة للمؤمنين، وإنما من منطلق الضرورات التي تحتتمها التصدي للعدو الرئيسي وهو الاستعمار الأوروبي الزاحف على بلاد الإسلام.¹⁹

وكان لهذه الحركة صدى في الجزائر حيث كانت هذه الحركة سبب لهجرة الجزائريين نحو المشرق العربي فالرسائل التي كان يبعث بها المهاجرون الجزائريون في القرن التاسع عشر على ذويهم في الجزائر، والتي كانت تصف الحرية والأخوة في الشرق الأدنى قد جعلت بعض الجزائريين يصدقون ما يقرأون وقد شجعت سياسة الاضطهاد الفرنسية التي اتبعتها الاحتلال على أن يتعطشوا لحياة أفضل بالخارج لذلك توجهوا على الشرق الأدنى وقد أضيف على ذلك دعاية عبد الحميد الثاني منذ الثمانينات من القرن الماضي كما كانت الجرائد التي تستنكر باسم الجامعة الإسلامية الحكم الفرنسي كالمؤيد والمهاجر والتي دعت بدورها الجزائريين إلى أرض الحرية²⁰

وقد تأثر الجزائريون بحركة الجامعة الإسلامية فكانوا أول من نادى بالتضامن بين المسلمين وبإصلاح الإسلام مستفيدين من التجربة الأوروبية وبقيادة جديدة في العالم الإسلامي، وقد كان حمدان خوجة الجزائري أول من نادى بالتفاهم بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية، فهو الذي تحدى الأوروبيين في زمانه مصرًا على أن الإسلام لا يتعارض مع البادئ الأساسية للتجارب الأوروبية، كما برهن الأمير عبد القادر كحارب ومفكر، أنه كان مصلحًا إسلاميًا في اتجاهه وقد كان للجامعة الإسلامية نشاطات في الجزائر وجمعيات سرية تنشر فكرها.²¹

3- جماعة الإخوان المسلمين: ومن دواعي نشوء هذه الحركة الحالة المزرية التي كانت عليها البلاد المصرية تحت قبضة الاستعمار البريطاني وعقب فشل الثورة العربية عام 1882²²، ومؤسس هذه الحركة هو الإمام حسن البنا وكانت بداية تأسيسها سنة 1928م كما ذكر الشيخ البنا في مذكراته اثر اجتماعه ببعض الرجال الذين تأثروا بدروسه²³، وانطلق الشيخ في دعوته من مدينة الإسماعيلية التي كان يدرس فيها بعد تخرجه من دار العلوم في القاهرة، وكان يهدف من وراء هذه الدعوة إلى نشر الأخلاق الفاضلة، ونبد المنكرات ومقاومة الإرسالية الإنجليزية، ومناهضة حركة التبشير الإنجليزية لمصر، وتميزت هذه الدعوة أنها دعوة سلفية تعني بالعودة إلى أصول الإسلام الصحيح والعمل بالسنة المطهرة والدعوة إلى طهارة النفس ونقاء القلب والتصوف النقي، كما اهتمت بالجانب السياسي الذي يعنى بإصلاح الحكم من الداخل والخارج، واهتمت بالجانب الاجتماعي من خلال دعوتها للاهتمام بأمراض المجتمع الإسلامي وعلاجها، ولا يخفى أيضا أنها عנית بالجانب الاقتصادي المالي من خلال كسبه بالحلال، وهنا يتبين شمول دعوة الإخوان المسلمين لكل مناحي الإصلاح²⁴، وهدفت هذه الحركة إلى توجيه قوى الأمة السياسية في وجهة واحدة وصف واحد، وإصلاح القانون حتى يتفق والتشريع الإسلامي في كل فروعهِ وتقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية، والعربية تمهيدا للتفكير العلمي في شأن الخلافة الإسلامية فضلا عن اصلاح قطاع التعليم والعمل على نشر ثقافة احترام الآداب العامة، ووضع إرشادات معززة بحماية القانون في ذلك الشأن، وتشبيد

العقوبات على الجرائم الأدبية، وتشجيع المشاريع الاقتصادية وتشغيل العاطلين من المواطنين فيه.²⁵ وكان لهذه الحركة وقعا في نفوس الجزائريين فهناك من ارتبط بها ونشط فيها ومنهم الفضيل الورتلاني.²⁶

ثانيا: الوسائل التي ساعدت على انتشار الفكر الإصلاحي المشرقي في الجزائر: ساعدت مجموعة من العوامل على انتشار الفكر الإصلاحي المشرقي في الجزائر والذي بدوره قاد الجزائريين إلى الاستفاقة من واقعهم البائس ومن بين هذه العوامل نجد:

1- الهجرة إلى الشرق العربي: كانت الهجرة عاملا مهما في تشبع الجزائريين بالفكر الإصلاحي المستتير الذي يهدف إلى اصلاح الفرد والمجتمع في الجزائر المستعمرة، وقد كانت هناك أسباب كثيرة جعلت الجزائريين يهاجرون من بلدهم إلى البلدان المجاورة من بينها الظلم الاستعماري الجائر واستغلال ممتلكات الجزائريين واستيطان أرضهم والقوانين الزجرية كقانون الأهالي، وقانون التجنيد الإجباري، مما جعل العيش في بلدهم الأم صعب أمام السياسة الإستعمارية الفرنسية الوحشية التي كانت تمارسها على الشخصية الجزائرية، ومنهم من أجبرتهم السلطات الفرنسية على العيش خارج الجزائر، ومنهم من تعرضوا للنفي إلى هذه البلدان، فكان للشرق سحره وجاذبيته في أذهان الجزائريين، فكل دارس لتاريخ الإسلام والحضارة العربية يتذكر الرنين الذي يحدثه في قلبه اسم مكة والمدينة، وبغداد ودمشق، والقاهرة والأزهر واسطنبول والقدس كما كان لدعوة الجامعة الإسلامية التي ظهرت على يد جمال الدين الأفغاني ثم تبناها السلطان عبد الحيد الثاني تأثيرها الخاص على الجزائريين، وكانت بعض الطرق الصوفية كالسنوسية قد جعلت من سياستها دعوة الجزائريين للهجرة لبلاد الإسلام²⁷ فقد شكلت الهجرة نحو الشرق عاملا مهما في تنامي الوعي التحرري لدى الجزائريين ولا سيما منهم النخبة المثقفة التي حملت لواء الإصلاح والتغيير وخاصة الهجرة الجماعية القوية التي حدثت سنة 1911 وكانت تلمسان أكثر المدن التي اشتدت فيها هذه الهجرة حيث غادرتها حوالي 800 عائلة للمشرق²⁸ وقد هاجر فيها عائلة الشيخ الطيب العقبي، وعائلة الإبراهيمي وعائلة الشيخ حمدان لوني، وكان قانون التجنيد الإجباري السبب الرئيسي في هجرة الكثير من الجزائريين وما إن انقضت الحرب العالمية الأولى حتى كانت حركة الهجرة من الجزائر نحو المشرق قد بلغت أوجها وبدأت تأتي أكلها في شكل حركات سياسية ونواد ثقافية وأدوار قيادية وصلات وتواصل مع الوطن²⁹ ولقد كانت الهجرة ملقاة للمصلحين الجزائريين الذين حملوا هم الاستعمار في الجزائر وخاصة لقاء الشيخ الإبراهيمي بالشيخ ابن باديس عام 1913 في موسم الحج والذي كان من اللقاءات المباركة على الأمة الجزائرية³⁰، وكان من ثمار هذه الهجرة عودة بعض العلماء الجزائريين من الشام محملين بأفكار إصلاحية ومن هؤلاء

الشيخ السعيد بن زكري وعبد الحليم بن سماية، ومحمد سعيد الزواوي، والأمير خالد، عبد الحميد بن باديس، وابن عليوة ولكل من هؤلاء دوره في الحياة الفكرية والسياسية في الجزائر بعد ذلك.³¹

2- البعثات التعليمية: كانت البعثات التعليمية نحو المشرق من بين الوسائل التي ساعدت على انتشار الفكر الإصلاحية المشرقي في الجزائر أين أتيحت الفرصة للطلبة الجزائريين لنهل العلم و الفكر المستنير في الكثير من الجامعات المشرقية ومن علمائها ونيل العلوم العربية ومختلف آدابها بحكم أن التعليم الفرنسي في الجزائر أضحي عائقا أمام التعليم العربي وهو ما زاد من شغف الطلبة الجزائريين للإقبال على العلوم العربية وكانت فرصة التعليم في المشرق العربي لا تعوض بالنسبة لهم، فكانت البعثات التعليمية نحو مشارق العرب ومغاربها نتيجة للمعاناة والعنصرية التي كان يواجهها التعليم العربي في الجزائر المستعمرة وبسبب سياسة الفرنسية التي طبقتها الإدارة الفرنسية في الجزائر من مصادرة للمؤسسات التعليمية الجزائرية والقضاء على أخرى وتحويلها إلى مدارس فرنسية وأخرى إلى اصطبلات وغيرها...، ونتيجة لهذه الأوضاع المزرية كان حتما ولزاما على الأهالي الجزائريين بعث أولادهم لطلب العلم خارج الجزائر ولا سيما الأزهر الذي فاق تعداد الطلبة الجزائريين فيه الطلبة المسجلين في الجزائر في أكبر مدرسة فرنسية إسلامية في الجزائر سنة 1910 ما يوحي بالعدد الكبير الذي توجه إلى المشرق طلبا للثقافة العربية الإسلامية ومن بين هؤلاء الطلبة الشيخ أرزقي الشرفاوي الأزهري، الشيخ مولود بمن الصديق الحافظي، محمد علي شرفاوي وغيرهم... واعتبرت الإدارة الفرنسية عودة هؤلاء الطلبة الذين تشبعوا بالثقافة المشرقية وتأثروا بتطور نتائج النهضة العربية الحديثة في المشرق العربي خطرا على وجودها في الجزائر فراحت تعلن الرقابة على هؤلاء فور رجوع القوافل الأولى إلى وطنهم فلاقتهم بالتهديد والرقابة الدقيقة على نشاطاتهم وتحركاتهم.³²

3- الزيارات: كانت الزيارات عاملا مهما في تأثر الجزائريين بالحركة الإصلاحية في المشرق العربي ولعل من أبرز الزيارات التي كان لها أثرا بالغ الأهمية في نفوس الجزائريين زيارة محمد عبده للجزائر سنة 1903 وقبل زيارته للجزائر كان له علاقات مع بعض الجزائريين أمثال مع الأمير عبد القادر وأبنائه وأثناء زيارته للجزائر استقبل بالحفاوة من طرف الجزائريين لمكانته العلمية الكبيرة فأرشد الجزائريين إلى حقيقة دينهم والطريقة المثلى لإحيائه وإحياء لغتهم فاجتمع بعدد من العلماء والمعجبين بحركته الإصلاحية ومن بينهم محمد بن الخوجة وعبد الحليم بن سماية، الذي كان معجبا بالمنار، إضافة إلى الدروس التي ألقاها الشيخ عبده في المساجد والتي كان يحضرها جموع غفيرة فحثهم على الاهتمام بالدين والعلم والأخلاق والتعلم والإصلاح³³، ورغم قصر زيارته إلا أن أفكاره في الإصلاح الديني والجامعة الإسلامية لاقت رواجا كبيرا في الجزائر فجريدة "المغرب للعربي" فخار بوهان كانت تنشر آراء عبده عن الشؤون الإسلامية، كما نشرت

جريدة ذو الفقار لعمر راسم أفكاره، بل اعتبره المدير الديني للجريدة، وهكذا لاقت أفكار الشيخ روجا كبيرا بين الجزائريين ما أدى إلى تأثر الجزائريين به وفكره³⁴.

4- أثر المجلات و الصحف المشرقية (أثر العروة الوثقى والمنار): كان للمجلات التي كانت تصل إلى الجزائريين من مشارق الأرض ومغاربها أثر بالغ على النهضة الفكرية التي عرفتها الجزائر، وخاصة على المجال الصحفي، خاصة مجلة المنار والفتح والعروة الوثقى، حيث كان لمجلة المنار أكبر الأثر في نفوس أهل الجزائر، وكان المثقفون بالعربية في الجزائر يقرؤونها ويعيدون قراءتها على إخوانهم المرار الكثيرة، وكانوا يتسابقون إلى شراء ما يصل منها، وكانت تأتيهم أيضا من تونس وأوروبا بطرق خفية لمناهضة الاستعمار لها، ويعملون للحصول عليها كل وسيلة لأنها غداؤهم الفكري والقلبي، وكانت الجزائر ترى مجلة المنار لسان الإسلام الأكبر، ومنبر الإصلاح الأعظم، وتراها متنفسا لها، وأكبر عون لها في الإصلاح الذي يقوم به زعماء نهضتها وفي إيقاظ الأمة وتطهير عقائدها من الأباطيل، ونفوسها من الفساد، وكان زعماء النهضة كلهم يقرءون فصولا من مجلة المنار في نواديهم ومجالسهم للجماهير³⁵، إذ كشفت تلك الجرائد والمجلات للشبيبة الجزائرية عن الحالة السياسية والاجتماعية والدينية في سائر البلاد العربية ولا سيما في مصر، وأثبتت للجزائريين أن مشاكل إخوانهم الشرقيين لا تختلف عن مشاكلهم، حيث كانت هذه الجرائد تصلهم من مصر مباشرة أو عن طريق غير مباشر أي عن طريق تونس حيث كانت المراقبة الفرنسية أخف وطأة وأقل تشديدا، أو عن طريق المغرب الذي كان ولا يزال يتمتع باستقلاله³⁶ حيث برز هذا التأثير الكبير بالجرائد المشرقية في انطباع رواد النهضة بأساليب أصحاب الجرائد ولغتهم الراقية، فالشيخان عمر بن قدور صاحب "الفاروق" وعمر راسم صاحب "ذو الفقار" لم يخفيا إعجابهما بأفكار الشيخ محمد عبده كما نشرتا جريدة "المنار" وقد تجسد هذا الإعجاب عند ابن قدور في دعوته الحارة إلى تنقية الدين في الجزائر من الخرافات والبدع وفي إلحاحه المستمر على فكرة (القومية الإسلامية كما اعتبر الشيخ عمر راسم الشيخ محمد عبده مديرا رسميا لجريدته "ذو الفقار"، كما اعترف الشيخ ابن باديس لصاحب المنار بقوله ..أن الحركة الإسلامية الكبرى اليوم في العالم إصلاحا وهداية بيانا ودفاعا كلها من آثار صاحب المنار)، هذا بالإضافة إلى الكثير من رواد الإصلاح الذين تأثروا بهذه الصحف أمثال السعيد الزاهري، وأبو اليقظان وغيرهم³⁷، حيث ساهمت هذه المجلات في بروز نهضة أدبية فكرية في الجزائر متشعبة بأفكار إصلاحية قادت الجزائريين للنهوض والتغيير من واقعهم المتدهور.

5- المراسلات: كانت المراسلات بين علماء المشرق والجزائريين من بين الوسائل التي كان لها الأثر الكبير في انتشار الفكر الإصلاحي المشرقي بين الجزائريين، ومن هذه المراسلات نجد المراسلات التي دارت بين الأمير شكيب أرسلان الذي كان على صلة بالحركة الوطنية الجزائرية منذ الحرب العالمية الأولى فكان

على صلة بأحمد توفيق المدني وعبد الحميد ابن باديس والطيب العقبي وابا يعلي الزواوي وإبراهيم أبا اليقظان، وكان شكيب أرسلان يرسل هؤلاء ويرسل أيضا الحاج أحمد مصالي وهذه المراسلات كانت تشكل فصلا خاصا في العلاقات السياسية والعلمية بين الجزائريين والمشاركة كما كان شكيب أرسلان على علاقة وطيدة مع بعض الأعيان والكتاب الجزائريين خاصة في عقد العشرينيات وخاصة مع الأستاذ توفيق المدني الذي كان يرسله أدبيا وسياسيا واجتماعيا منذ كان في إدارة الحزب الدستوري بتونس وكان قد أمده طوال سنوات بمعلومات عن المغرب العربي ومشاكله السياسية ومقاومته للاستعمار³⁸، إضافة إلى المراسلات التي كانت تصل للجزائريين من أبرز زعماء المشرق الذين اهتموا بالجزائر وهو محب الدين الخطيب وكان بعض العلماء الجزائريين يعرفونه أمثال العقبي الذي تعامل معه في جريدة القبلة الحجازية سنوات 1916-1920 وكان الزواوي قد طبع أحد كتبه في مطبعة محب الدين الخطيب³⁹ ما يفسر الدور الذي لعبته المراسلات في تفتح أذهان الجزائريين على الفكر الإصلاحى المشرقى.

الخاتمة:

من خلال ما سبق توصلنا إلى أن الحركة الإصلاحية المشرقية كان لها أثر إيجابى كبير فى النهضة الجزائرية ما أدى إلى ظهور الكثير من النتائج الإيجابية على الحركة الإصل احية الجزائرية ونجمل هذه النتائج فى النقاط الآتية:

- كان لتأسيس الحركة الوهابية والجامعة الإسلامية وقع إيجابى على أغلبية الجزائريين من خلال الأفكار الإسلامية التي كان يدعو لها كوكبة من المفكرين الإسلاميين من محمد عبد الوهاب وجمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده فى مجلة العروة الوثقى التي كانت تصدر فى فرنسا ومجلة المنار للإمام محمد رشيد رضا، وجماعة الإخوان المسلمين حيث ساعدت هذه الحركات على وظهور الخطاب الإصلاحى فى وتبلوره فى أذهان الجزائريين بعد الجمود الفكرى الذى خيم على عقولهم بفعل الاستعمار الفرنسى والموالين له.

- ظهور ثورة تعليمية بعد الحرب العالمية الأولى وبعد عودة المصلحين الجزائريين الذى حملوا على عاتقهم هم الجمود الفكرى الذى كرسه الاستعمار الفرنسى فى الجزائر لمدة طويلة، وقاد هذه الثورة التعليمية الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذى تأثر كثيرا بالنهضة المشرقية وبفكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وحركة الجامعة الإسلامية حيث أدرك هؤلاء العلماء حاجة الأمة إلى المدارس والنوادي والصحف التي تعمل على تزكية النفوس ورفع الجهل عن العقول فقد هيا لله لهم أهل الخير فأصلحوا شؤون الطلبة وأسسوا أزيد من 400 مدرسة مبنوثة فى جميع أركان القطر الجزائرى، تؤدى الرسالة بوفاء وصدق ووعى، هيا حقيقة إلى

تكوين جيش كبير كما عبر الإبراهيمي من المعلمين والوعاظ والصحفيين الذين كان لهم الفضل في إحياء وترميم ما هدم وأمات الاستعمار الفرنسي.⁴⁰

- بروز الصحافة العربية الإصلاحية الجزائرية نتيجة لتأثر الجزائريين بالصحافة المشرقية والتي كانت لها وقع ومكانة رفيعة في قلوب الجزائريين فتفطنوا لأهمية الصحافة المكتوبة في نشر الوعي بين الجزائريين وتغيير الأوضاع المزرية التي كان يعيشها الشعب الجزائري آنذاك بعد أن كانت وسيلة محتكرة من طرف العدو الفرنسي، غير أن الجزائريين استنادوا من التجربة الصحفية المشرقية فأضحى لهؤلاء العائدين من المشرق خبرة في الميدان الصحفي نتيجة احتكاكهم بإخوانهم المشاركة في تحرير بعض الصحف المشرقية كتجربة الطيب العقبي في جريدة القبلة الحجازية وغيرها من التجارب...

- ظهور الأحزاب و النوادي والجمعيات الثقافية الجزائرية حيث تميزت الفترة الممتدة 1900 إلى 1921 ببروز الكثير من النوادي والجمعيات الثقافية، والاجتماعية، التي شكلت المنابع الفكرية والنواة السياسية الأولى للحركة الوطنية كما كان لها دور بارز في بلورة الوعي الثقافي والسياسي للقضية الوطنية، ومن بين هذه النوادي والجمعيات نذكر الجمعية الرشدية 1902 بالعاصمة، نادي صالح باي 1908 بقسنطينة، نادي التوفيقية 1908 بالعاصمة، نادي الشباب الجزائري 1909 ومقره بتلمسان نادي الترقى 1927 ومقره بالجزائر، وغيرها من النوادي والجمعيات التي كان لها فضلا كبيرا في تشكيل الإرهاصات السياسية الأولى للحركة الوطنية الجزائرية من جهة وفي تربية النشء الجزائري على مبادئ الوطنية وحب الوطن وبعث ثقافة سياسية من جهة أخرى⁴¹، فمهدت هذه النتائج مجتمعة لظهور وعي جزائري بالقضية الجزائرية قادم على تفجير الثورة التحريرية.

التوصيات:

- الاستفادة من المناهج التي أقام عليها دعاة الإصلاح سواء المشاركة أو علماء الجزائر دعوتهم الإصلاحية في مواجهة مختلف التحديات التي تواجه العالم الإسلامي حاليا ومواجهة الآفات الدخيلة على مجتمعنا العربي بالرجوع إلى الإسلام الصحيح والانطلاق منه لقيادة البلدان العربية نحو التقدم والازدهار.

- إثراء البحوث في مجال العلاقة التي جمعت مختلف علماء الإصلاح المشاركة مع علماء الجزائر وخاصة المراسلات التي كانت تدور بينهم ودورها في نشر الفكر الإصلاحي التحرري.

الهوامش:

¹إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، ج4، 1987م، ص1975.

²الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، ص85.

محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1، 1997، ص181.

⁴أبي الحسن زكريا، معجم مقاييس اللغة، القاهرة، دار الحديث، 2008م، ص491.

⁵أحمد علي الفيومي المقري، المصباح المنير، القاهرة، دار الحديث، 2003م، ص207.

⁶محمد بريش، مفهوم الإصلاح أو نحو إصلاح لفهم المصطلح، بحث نشر في حولية "امتي في العالم، مج7، مركز الحضارة للدراسات الإسلامية، القاهرة، د ط، 2007م، ص8.

⁷عمار طالبي، آثار الامام عبد الحميد ابن باديس، الشركة الجزائرية للحاج عبد القادر بوداود، الجزائر، ط1، 1968م، ج4، ص46.

⁸بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، دار المعرفة، الجزائر، د ط، ج1، 2006م، ص325.

⁹مناح بن خليل القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط5، 2001م، ص403.

¹⁰أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، ج3، 1692م، ص84.

¹¹ولد سنة 1703م في مدينة العينية في نجد ونشأ في بيئة بسيطة وكان أبوه قاضي العينية فنشأ في أسرة علم ودين وكان عمه مجتهدا فقيها فكانت أسرته مصدر تعلمه فحفظ القرآن وهو لم يبلغ سن العاشرة وتعلم مبادئ الصرف والنحو واللغة العربية وبعض كتب الفقه والحديث على مذهب الإمام بن حنبل، طلب العلم على يد الكثير من المشايخ من بينهم حسان التميمي بلاد القسيم فكان حريصا على طلب العلم منذ صغره ما صنع منه قائدا في كبره فأدرك ما عليه قومه من الضلال وتقشي البدع والانحلال فغار على دينه وراح يصلح الأوضاع من خلال دعوته إلى الإسلام الصحيح ينظر كتاب حسن خلف الشيخ خزعل، حياة الشيخ محمد عبد الوهاب، دار الكلب، بيروت، دط، ص56.

¹²عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1984م، ص212-215.

¹³أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د ط، 2012م، ص11.

¹⁴ولد سنة 1838 في سعد آباد بإحدى القرى التابعة لمدينة كابل في أفغانستان، ويتصل نسبه بالسيد الترمذي المحدث المشهور، تلقى تعليمه الأول في مدينة كابل ثم تبحر في العلوم الدينية والثقافية وتعلم اللغة العربية والأفغانية والفارسية واستكمل الغاية من دروسه الثامنة عشرة من عمره سافر على الكثير من البلدان ووقف على أحوال المسلمين بها وتوفي عام 1897 ينظر: محمد عبد العزيز داود، الجمعيات الإسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة الإسلامية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1992م، ص56.

¹⁵أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1، 1997، ص515-520.

¹⁶عبد الكريم صالح غيث أحمد، جمال الدين الأفغاني وفكرة تأسيس الجامعة الإسلامية، مجلة الآداب، ع10، جامعة مصراته، ليبيا، ص94.

¹⁷هو محمد عبده حسن خير الله ولد في قرية محلة بمصر بمركز شبرا خت في محافظة البحيرة في سنة 1849 في أسرة تعتز بكثرة رجالها ومقاومتهم لظلم الحكام تلقى تعليمه الأولي بالقرية فحفظ القرآن الكريم وتعلم الكتابة والقراءة ثم تلقى دروس الأزهر في الجامع

- الأحمدي بعد أن استكمل تجويد القرآن ثم بعده صدته أساليب التدريس العقيمة عن الدراسة ما جعله يهجر الدراسة وعاد على قريته وتزوج وقرر العمل مع أبيه في الزراعة غير انه التقى بالشيخ درويش الأخضر الذي شجعه على طلب العلم بحكم انتمائه على الطريقة السنوسية وعاد إلى الدراسة والتحق بالأزهر وحيالها التقى بالأفغاني ولازم مجالسه ينظر: محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993م، ص22-24.
- ¹⁸ حاكم المطري، الخلافة العثمانية ودورها في التجديد الديني وظهور الحركات الإصلاحية، د ط، د ت، ص188 ص189.
- ¹⁹ محمد عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية نموذج مصطفى كامل، دار الشروق، بيروت، ط1، 1994م، ص53.
- ²⁰ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4، ج2، 1992م، ص121.
- ²¹ المرجع نفسه، ص110.
- ²² جمعة أمين عبد العزيز، جماعة الإخوان المسلمين ظروف نشأة وشخصية الإمام المؤسس، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط1، 2003م، ص41.
- ²³ عبد الله العقيل، أبو الحسن الندوي، حسن البنا مذكرات الدعوة والداعية حقيقة الجماعة بقلم مؤسسها، مركز الإعلام العربي، مصر، ط1، 2011م، ص95.
- ²⁴ عدي محمد كاظم السبتي، الإخوان المسلمين في مصر دراسة تاريخية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، م9، ع1، 2019م، ص93-94.
- ²⁵ وجيه عفدو علي، مفهوم العنف عند الحركات الإسلامية جماعة الإخوان في مصر أنموذجاً، مجلة أبحاث كلية التربية، م11، ع1، كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، 2011م، ص553.
- ²⁶ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج5، 1998م، ص602.
- ²⁷ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج4، 1998م، ص474.
- ²⁸ يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2007م، ص45.
- ²⁹ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج4، 1996م، ص196.
- ³⁰ محمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص10.
- ³¹ أبو لقاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص196.
- ³² عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918)، دار هومه، الجزائر، د ط، 2007م، ص170-185.
- ³³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص587-591.
- ³⁴ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص115.
- ³⁵ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، ج2، 1971م، ص29.
- ³⁶ محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها تطورها وأعلامها، وزارة الثقافة، الجزائر، د ط، ج1، 2007م، ص56-57.
- ³⁷ المرجع نفسه، ص60.
- ³⁸ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص118.
- ³⁹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص600.
- ⁴⁰ محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، ط4، 2013م، ص144.
- ⁴¹ عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار طليطلة، الجزائر، ط1، 2009م، ص103-105.